معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأربعين النووية

شرح الشيخ رياض عصنوني

حفظه الله

الدرس رقم (15)

التاريخ: السبت 1440/06/18 هـ

23/شباط/2019 م

الدرس الخامس عشر من شرح "الأربعين النووية"

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛

فدرسنا الليلة إن شاء الله تعالى، هو الدرس الخامس عشر من دروس شرح "الأربعين النووية" للحافظ أبي زكريا يحيي بن شرف النووي -رحمه الله-.

الحديث الخامس والثلاثون

(المتن)

قال -رحمه الله- تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا؛ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ؛ التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»، رواه مسلم.

(الشرح)

هذا الحديث أصلٌ في حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وما ينبغي أن يكون بين المسلمين من أخلاقٍ ومعاملة، نهى فيه النبي -ﷺ- عن جُملةٍ من مساوئ الأخلاق والمعاملات المحرمة التي قد تكون بين المسلمين.

بدأ فيه -ﷺ- بالنهي عن الحسد، فقال: «لَا تَحَاسَدُوا»،

والحسد: من العلماء مَن فسَّره بتمني زوال النعمة عن الغير، ومنهم من قال: بل هو كراهية ما أنعم الله به على أخيك من نعمة سواءً تمنيت زوالها أم لا، يعني مجرد كراهية كون هذه النعمة أنعم الله بها على أخيك، فهذا يُعدُّ حسدًا، سواءٌ تمنيت أن تزول أم لم تتمن، هذا القول الثاني في تعريف الحسد.

فحقيقة الحسد: أنه اعتراضٌ على قضاء الله تبارك وتعالى وقدره؛ لأن المرء بتمني زوال النعمة أو كراهيتها في حق فلانٍ من الناس، يعترض على قدر الله تبارك وتعالى، لذلك كان الحسد أمرًا خطيرًا، ومرضًا من أمراض القلوب، **وكان الواجب على المسلم**: تجنبه، ودعاء الله السلامة منه.

قد يعترض معترض، ويقول: أن النبي -ﷺ- قال: «لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»، فيستدل بهذا على جواز الحسد، فنقول له: الحسد هنا بمعنى الغِبطة، وهذا تجوُّزٌ في التعبير، والغِبطة هي تمني حال المغبوط من غير تمني زوال النعمة عنه، ومن غير تمني كراهية كون الله تبارك وتعالى أعطاه هذه النعمة، فهذا الفرق بين الغِبطة والحسد.

ثم قال -ﷺ-: «وَلَا تَنَاجَشُوا»،

التناجش معناه الزيادة في ثمن السلعة عند المناداة عليها، لكن لا بقصد الشراء، وإنما بقصد الإضرار بالشاري، أو نفع البائع، فهذا هو التناجش، هو الزيادة في ثمن السلعة عند المناداة عليها، بقصد الإضرار بالشاري، أو نفع البائع، فقصد صاحبه يكون الخديعة والإضرار بالآخرين.

ويُطلق التناجش أيضًا على كل من أراد إبطال الشيء، يعني إبطال شيء أو معاملة ما بالمكر والخديعة، **وكل هذا محرم سواءٌ كان في البيوع أو في غيرها**.

ثم قال -ﷺ-: «وَلَا تَبَاغَضُوا»،

أي لا تتعاطوا أسباب البغضاء، سواءٌ كانت أقوالًا أو أفعالًا، نحن مأمورون بفعل الأسباب التي تزيد المحبة والألفة بيننا، لا العكس، إن علمت أن فعلًا من الأفعال قد يؤدي إلى التباغض بينك وبين أخيك، فلا تفعله، وأنت مأجورٌ بإذن الله؛ لأنك بتركك لهذا الفعل أنت ممتثلٌ لأمر النبي -ﷺ-، وأنت تفعل أسباب المودة والإخاء بينك وبين أخيك المسلم.

ونُنبّه هنا إلى أننا: نتكلم عن البُغض على الأمور الدنيوية، أما البُغض الشرعي فهو واجبٌ، بل هو «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ»، كما قال النبي -ﷺ-.

المؤمن العاصي يُحب لما معه من توحيدٍ وطاعة، ويُبغض بقدر ما معه من معصيةٍ أو بِدعة، هذا الواجب في حقه، كما أن الكافر يُبغض ولا يُحب، وعباد الله الخُلَّص المؤمنون كالأنبياء يُحبُّون ولا يُبغضون.

ثم قال النبي -ﷺ-: «وَلَا تَدَابَرُوا»،

أي لا تفعلوا الأشياء التي توجب التدابر والتهاجر بينكم، الهَجرُ إذا لم يكن لأسبابٍ شرعيةٍ فهو مُحرمٌ، كما قال النبي -ﷺ-: «لا يَحِلُّ لامرئٍ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ ذاك، وَخَيْرُهُمَا مَن يَبْدَأُ بالسَّلامِ».

أما إن كان عن الهجرُ شرعيًا سواءٌ كان هجرًا وقائيًا أو هجرًا تأديبيًا، فهو مشروع، وأدلته في الشرع كثيرة، لكن الذي نلحظه في الناس اليوم أنهم أصبحوا يوالون ويُعادون على أمور الدنيا، الكثير منهم يُوالي

ويُعادي على أمور الدنيا، على الحزب، على من يعطيهم المال، على من يحقق مصالحهم الدنيوية إلى آخره، ولا يرفعون رأسًا بما له علاقةٌ بالشرع إلا من رحم الله.

فلو قلت لهم: مثلًا فلانٌ رأسٌ من رؤوس الخوارج، يرى الخروج على الحاكم المسلم ويُكفِّر المسلمين، وصاحب شُبهات مثلًا فاحذروه وحذِّروا منه، فقد تجد القِلة هي التي تسمع لك، والكثرة لا يرفعون بكلامك رأسًا، لماذا؟ لماذا لا يرفعون رأسًا بكلامك؟ لأن لهم مصالح دنيوية مع هذا الشخص؛ لأن هذا الشخص يُعطيهم المال؛ لأن هذا الشخص يحقق لهم بعض الأمور، أو بعض المصالح الدنيوية، يعني وهذا حصل، يعني حصل من بعض من كان معدودًا من طلاب العلم، فقد احتضنتهم بعض الجمعيات الحزبية، وهي تدَّعي أنها جمعيات خيرية، تقوم على شؤون طلبة العلم، وتعطيهم المال، وتدعمهم، ولما تبيَّن أنهم جمعيات حزبية، وأنهم كانوا يُعينون بعض رؤوس أهل البِدع، أو بعض من عُرف بانحرافه، لم يستطع هؤلاء تركهم، ولا التحذير منهم، لماذا؟ لأنهم كانوا مربوطين بالمال وبالمصالح الدنيوية، بل أصبحوا يدافعون عن هؤلاء، أو عن المبتدعة الذين هم معهم في هذه الجمعية الحزبية، والله المستعان.

فالمهم: أن التهاجر مذمومٌ ومحرمٌ إذا كان لهوىً في النفس، أما الهجر الشرعي، فهذا كما قلنا قد يكون واجبًا، وقد يكون مستحبًا بحسب الحال.

ثم قال النبي -ﷺ- «وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»،

البيع هذه صورة هذا البيع المنهي عنه، يعني هو أن يتفق البائع والمشتري على سلعةٍ معينة، ويُحدد الثمن، ويحصل بينهما البيع ويتم العقد، فيأتي شخصٌ ثالث فيقول، يقول مثلًا للمشتري: افسخ العقد مع البائع وأنا أبيعك مثل هذه أنقص منها، أو يأتي إلى البائع مثلًا ويقول له: افسخ العقد مع المشتري، وأنا اشتريها منك بأكثر من ذلك، فهذا محرم، ولا يجوز.

وينبغي أن نُنبِّه هنا: إلى أن حالتنا هذه لابد فيها من أن يكون قد حصل بينهما تراضٍ، يعني قد تمَّ البيع، وأما قبل التراضي، وقبل أن يتم البيع فلا إشكال في المساومة، المساومة والمزايدة بين من يريد الشراء أو البيع لا حرج فيها، بشرط أن لا تكون من التناجش الذي مرّ معنا.

ثم قال -ﷺ-: «وَكُونُوا عِبَادَ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»،

أي لابد من أن يكون المسلمون يدًا واحدة، يسودهم الحب في الله، والأخوة الصادقة، والمعاشرة بالرفق واللين.

ثم قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ»،

المسلم لا يجوز له أن يظلم أخاه، المسلم لا يظلم أخاه المسلم، وليس من أخلاقه هذا الظلم، كما جاء عن جابرٍ –رضي الله عنه-، عن النبي -ﷺ- إنه قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقد مرّ

معنا في الحديث القدسي قول الله تبارك وتعالى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا».

وليس من أخلاق المسلم خذلان أخيه، المسلم إذا استعان به أخوه أو استنصره فليس من أخلاقه أن يخذِّله، وهذا التخذيل نُعاني منه اليوم كثيرًا، يعني قد يصدع البعض بالحق، وبكلمة الحق، ولا يجد من يُناصره، بل البعض يخذِّل إخوانه عندما يجب عليه أن يقول كلمة الحق.

والمسلم كذلك لا يحقر أخاه، المسلم لا يتكبر على أخيه، ولا يستصغره، ويتواضع له، إن كان هذا المسلم غنيًّا، فمن أخلاق المسلمين التواضع، ولين الجانب للفقراء، وكذلك الكبير يرحم الصغير، فالعِبرة عندنا بالتقوى، لا بالمال ولا بالسِن، ولا غير ذلك، العِبرة بالتقوى، لذلك قال النبي -ﷺ-، يعني عقب هذا الكلام قال: «التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-»، فالتقوى محلها القلب، والقلب إذا صلح صلح سائر الجسد، والعِبرة عند الله تبارك وتعالى بها، والتفاوت بين الناس في الدرجات في الجنة يكون بالتقوى والعمل الصالح، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:13]

ثم قال النبي -ﷺ-: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»،

وهذا المعنى قد مرّ معنا في الأحاديث السابقة، وهو يُبيّن أن: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» فلا يُسفك دمه بغير حقٍ، ويؤخذ ماله بغير حقٍ، ولا يُنال من عرضه بغير حق، وهذا مرّ معنا في الأحاديث السابقة، هذا ما يتعلق بهذا الحديث.

الحديث السادس والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي -رحمه الله-: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَة، ومَنْ يَسَّرَعَلى مُعْسِرٍيَسَّرَاللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، ومَنْ سَتَرَمُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ ويَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ: إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، ومَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رواه مسلمٌ بهذا اللفظ.

(الشرح)

قال ابن دقيق العيد -رحمه الله-: (هذا الحديث عظيمٌ جامعٌ لأنواعٍ من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم، بما تيسر من علمٍ، أو مالٍ، أو معاونةٍ، أو إشارةٍ بمصلحةٍ، أو نصيحةٍ، أو غير ذلك)، انتهى كلامه رحمه الله-.

قوله -ﷺ-: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَة»،

الكرب هو الشدة والضيق والضنك، قد تكون الكرب ماليةً، أو بدنيةً، أو غير ذلك.

قد تكون مالية: يعني يُصيب الإنسان الضيق والشدة والضنك، بسب أمورٍ مالية، أو بسب أمورٍ بدنية كمرض أو إعاقةٍ، أو غير ذلك..

فمن نفس عن أخيه كربةً، استحق بذلك أن يُنفس الله عنه كربةً وضيقًا يوم القيامة، ومعلوم لديكم -حفظكم الله- شدة الفرق بينهما، بين الكُربة في الدنيا، والكُربة في الآخرة.

الكُربة في الدنيا قد تكون دينًا يُثقل كاهل أخيك فتقضيه عنه، قد تكون أيضًا ظُلمًا، بعض الناس قد يظلم هذا الإنسان، فيعاني منه، ويتسبب له الضيق، والشدة، والضنك بسب هذا الظلم، كأن يكون جارًا له، أو مسئولًا له في عمله، أو شخصًا مثلًا يمر عليه كل يوم؛ فيحصل له منه ظلم، فإن أعنت مثلًا هذا الإنسان بأن كلمت هذا الظالم، ورفعت عنه هذا الظلم، أو يعني كان مثلًا دين فقضيته عنه، أو مثلًا يعني كان يرُيد فقط يعني عنده مشاكل بينه وبين أهله، ولم يكن لديه من يستشيره، ويشير عليه بما ينفعه، وبما يصلح ما بينهما، فيكون في شدةٍ، وضيقٍ، وكربٍ بسبب ذلك، فتكلمه وتشير عليه بما ينفعه ويصلح بينهما، فتنفس عنه هذه الكربة.

قد يكون له مثلاً مشاكل نفسية فتكلمه مثلًا، يعني انظر إلى هذه السهولة، يعني التنفيس ليس من الشرط أن يكون بالمال، أو بالجاه، أو غير ذلك.. كلمة طيبة تقولها لأخيك فتنفس عنه هذه الكربة، وترفع

ما به من ضيقٍ وشدة، فينفس الله تبارك وتعالى عنك كربةً من كرب يوم القيامة، وما أدراك ما كُرب يوم القيامة.

ثم قال الرسول -ﷺ-: «ومَنْ يَسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ»؛

المعسر هو من عليه حقٌ لغيره لا يستطيع أداءه. فمن أعان المعُسر بقضاء الدين عليه، أو كلم صاحب الدين بأن ينظرهُ ويمهلهُ مزيدًا من الوقت، أو مثلًا أعطاه نصيبًا من المال، أو كَلم صاحب الدين فأنقص له القيمة، فإن هذا قد وعده الله بأن ييسر عليه في الدنيا والآخرة، وهذا يعني فضلٌ عظيم، وأجرٌ مهم في الدنيا والآخرة، لمن تدبره، وأراد العمل بهذا الحديث.

قد يكون مثلًا إنسان استصعب عليه أمرٌ من أمور الدنيا، فأراد من الله بتارك وتعالى أن ييسره عليه، فبإمكانه العمل بهذا الحديث، فينظر مثلًا إنسانًا معسرًا فيُيسر عيه بما ذكرنا، ويرجو من الله تبارك وتعالى أن يُيسر عليه أمره بهذا العمل الصالح الذي قام به وقد مّر معنا في حديث "إنما الأعمال" الحديث الأول، أن العمل إذا رتب عليه الشارع أجرًا دنيويًا، وأجرًا أخرويًا، فلا بأس للإنسان بأن يقصد كلا الأجرين بعمله.

ثم قال النبي -ﷺ-: «ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ»،

السِّتر على المسلم من فضائل الأعمال وجميل الخصال، فمن علم من أخيه الوقوع في شيءٍ من المعاصي والآثام، فالواجب عليه سترهُ ونصحهُ فيما بينه وبين أخيه، لأن هذا من أسباب قبول الحق، وإعانةٌ له على ترك ما هو فيه من المنكر، أما إن كان الأمر إجرامًا، ومما لا ينبغي سترهُ، فهنا وجب التبليغ عنه للجهات الرسمية، إن لم يكن فيه مفسدة على هذا الإنسان، يعني إن عُلم أمره، يعني قد يؤذى من طرف هؤلاء الناس، ولكن التبليغ عنه لابد منه؛ حتى يُزجر ويكف أذاه، ويكف هو عن فساده وإفساده.

ومما يدخل أيضًا في هذا: التحدث بما قد يقع من بعض الفسقة، ونشر ذلك في الصحف ووسائل التواصل، فهذا مُنكر يجب الكف عنه، تجد بعض من يسمَون دعاةً، وهم في الحقيقة جُهال، تجدهم حتى يعظون الناس، يذكرون بعض ما يحدث من أصحاب الفسق والمعاصي، من شُرب الخمر، أو من زنا، أو غير ذلك.. وكذلك كثُرت هذه الأمور، في وسائل التواصل، يذكرون ما يحصل من بعض الزناة، أو ما يحصل من أمور كهذه، يذكرونها لأي غرض من الأغراض، فهذا لا يجوز، والواجب ستر مِثل هذه الأمور؛ لأنها نشر مثل هذه الأمور، داخلٌ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النور:19]، فنشر مثل هذه الأمور من إشاعة الفاحشة، في الذين آمنوا، ومن محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

ثم قال النبي -ﷺ-: «واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ»،

من كان في عون أخيه، وسعى معه في حاجته، وفي أموره، فإن الله يعينه وييسر له أمره، ويجزيه خيرًا على هذه الإعانة.

وقال: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»،

هذا فيه الحث على طلب العلم الشرعي، وأن السعي في تحصيلهِ سببٌ من أسباب تسهيل الطريق إلى الجنة، ويدخل في قوله: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا». يعني كل ما يحصل به طلب العلم، سواءكان اقتناء الكتب، أو قراءتها، أو الاستماع إلى الأشرطة، أو سماع المحاضرات عبر الإنترنت، أو حضور حِلق العلم في المساجد، وغيرها من الأماكن إلى غير ذلك، كل هذا يدخل في سلوك طريق العلم.

ثم قال: «وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ ويَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»،

بيوت الله هي المساجد، يعني وإضافتها إلى الله إضافة تشريف.

وقوله: «وما اجْتَمَعَ فيها قومٌ»،

القوم هم المجموعة من الناس، يجتمعون فيها لتلاوة كتاب الله، أو لتدبره، أو لتدارسه، إلا حصل من الخير ما هو مذكورٌ هنا، من نزول السكينة، والسكينة هي الطمأنينة، وسكون النفس.

قال: «وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ»،

ومعناها أن رحمة الله تبارك وتعالى تكتنفهم من كل جهةٍ، وتكون كالغشاء لهم.

قال: «وحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ»،

يعني أحاطت بهم من كل جهة، فلا منفذ للشيطان إليهم، وهم على تلك الحال.

قال: «وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»،

والمقصود بقوله: «فِيمَنْ عِنْدَهُ»، هم الملائكة المقربون، فيثني عليهم بما هم له أهلٌ، وهذا فضلٌ عظيم، وأجرٌ جزيل، لهذا العمل الذي قد يغفل أو يتغافل عنه الناس.

ثم قال -ﷺ-: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»،

فيه أن التقوى والعمل الصالح هي جِماع الأمر، وأنها سبب لدخول الجنة، وهي التي ترفع درجات العبد عند الله تبارك وتعالى، كما قلنا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13].

«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ»، ولم يبلغ الدرجات العلا عند الله تبارك وتعالى، فإن نسبه أو كونه من بني فلان، أو فلان، أو علان، يعني لا ينفعه، ولن يُغني عنه عند الله شيئًا.

نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون من ذوي الدرجات العالية الرفيعة عند الله.

الحديث السابع والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي -رحمه الله-: **عن ابن عباسٍ رضي الله، عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال:** «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ، إِلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، إِلى أَضْعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ سَيِّئَةً واحِدَةً»، **رواه البخاري ومُسلمٍ في صحيحيهما بهذه الحروف.**

(الشرح)

جاء في الحديث قوله: "**فيما يرويه عن ربه**"، قال: (**عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه**)، فهذا الحديث حديثٌ قدسي، وقد سبق لنا بيان الفرق بينه وبين الحديث النبوي.

فيه بيان سعة تفضل الله علينا، حيث أنه يضاعف الحسنات، ويكتب لمن هم بالحسنة ولم يعملها حسنةً كاملة، خلافًا لمن يعمل السيئة، فإنها تكتب له واحدة ولا يزيد عليها، فإنها يعني تُكتب واحدةً، السيئة تُكتب سيئةً واحدةً ولا تضاعف، ولا تُكتب أصلًا لمن همَّ بفعلها ولم يفعلها، لكن في المسألة تفصيلٌ لابد من ذكره، بالنسبة لمن هم بالسيئة ولم يفعلها.

<u>فالناس في هذه يعني في هذا الأمر ثلاثة أقسام:</u>

1. **قسمٌ**: حاول فعل المعصية وسعى إليها، لكنه لم يتمكن منها ومن فعلها، لسبب خارج عن إرادته، فهذا تكتب عليه سيئةً كاملة، والدليل قوله -ﷺ-: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، قالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».
2. **القسم الثاني**: هو من همَّ بالسيئةٍ، ثم عزف عنها؛ لأن نفسه نفرت منها ولم تردها، فهذا الصِنف لا تكتب عليه لا سيئةً ولا حسنة.
3. **والقسم الثالث**: وهم من همَّ بالسيئة وأراد فعلها، ثم تركها يعني خشيةً من الله تبارك وتعالى خوفًا من عقابه، فهؤلاء هم الذين تُكتب لهم حسنةً كاملة.

وكما قلنا هذا الحديث فيه بيان سعة فضل الله تبارك وتعالى وتفضله علينا، ترى أن الله تبارك وتعالى يكتب لمن عمل حسنةً أضعافها، لا يكتبها له حسنةً واحدة، بل يضاعفها من عشرة إلى سبعمائة ضعف، إلى أكثر من ذلك، فليحرص الإنسان على الحسنات، وخاصةً تلاوة كتاب الله تبارك وتعالى، فإن فيه أجرًا عظيمًا.

الحديث الثامن والثلاثون

(المتن)

ثم قال النووي –رحمه الله-: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»، رواه البخاري.

(الشرح)

هذا الحديث أيضًا حديثٌ قدسي، وقال العلماء: "أنه أشرف حديثٍ في أوصاف الأولياء، وفضلهم، ومقاماتهم".

أخبر فيه سبحانه وتعالى: أن معاداة أوليائه معاداةٌ له، وكذا محاربتهم محاربةٌ له، فكيف يفكر بعد هذا عاقلٌ في معاداة ومحاربة ولي من أولياء الله؟ هذا حقيقة أمره أنه مخذول وغير موفق.

ولا شك -وفقني الله وإياكم للحق- أن العلماء العاملين من أولياء الله تبارك وتعالى، فمن تعرض لهم بالسب، والشتم، والقدح، والتبديع، والتحذير، فهو داخلٌ في هذا الحديث، هذا لاشك فيه.

وكم رأينا من الذين ناوؤوهم، وعادوهم، وطعنوا فيهم، ما حل بهم من زيغٍ وانحرافٍ، وسوء القول، وعدم التوفيق للحق، فليحذر الإنسان من هذا المزلق الخطير، العلماء لا شك أنهم من أولياء الله تبارك وتعالى، فالواجب أن يعاملهم الإنسان معاملةً شرعية، يعني هذا كان قوس أردت التنبيه عليه.

الولي عند أهل السنة والجماعة، هو كل مؤمنٍ تقي، الولي هو كل مؤمنٍ تقي، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(62)الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(63)﴾[يونس62-63]، فهؤلاء هم أولياء الله تبارك وتعالى.

وذكر الله تعالى في هذا الحديث صفاتهم الكاملة، وهي أنهم يقومون بالفرائض أولًا، ثم يقومون بالنوافل، يعني أنهم يقدمون الفرائض على النوافل، لكنهم يقومون بهم جميعًا، فيحصل لهم بذلك ما حصل محبة الله وولايته لهم.

ونتيجة ذلك: أنه يُسهل لهم كل طريقٍ يوصل إلى رضاه، لذلك قال في الحديث: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ»، هذا معناه أن الله تبارك وتعالى يُسدده في سمعه فلا يسمع إلا خيرًا، وليس معناه أن الله يكون سمع الإنسان، لا أبدًا ليس ذلك، معناه أن الله تبارك وتعالى يسدده في سمعه، فلا يسمع إلا خيرًا، وكذلك في بصره فلا يبصر إلا خيرًا، ويوفقه في كل ما يرى، وهكذا...

ومع كل: هذا التوفيق، والسداد، والتسديد لهم في كل حركةٍ من الحركات التي يقومون بها، زاد على ذلك بأن جعلهم مستجابي الدعوة،

قال: «وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»،

فإن سألوه شيئًا أعطاهم إياه، وإن استعاذوا به من شرٍ أعاذهم منهم سبحانه وتعالى.

فأي نصرٍ وتأييدٍ وتسديدٍ يرجوه المسلم بعد هذا، فمن أراد أن يكون وليًا لله فعليه أن يكون مؤمنًا بالله، وأن يكون تقيًا، عليه أن يكون مؤمنًا تقيًا، وهذا لابد له من صبرٍ، ولابد له من علمٍ، ولابد له من عملٍ، ولابد له قبل ذلك كله من توفيق من الله تبارك وتعالى، أن يسأل العبد الله تبارك وتعالى أن يكون من أوليائه، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا منهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

سبحانك اللهم بحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،

أستغفرك وأتوب إليك.